﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [البقرة: 139-141]

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

محاجة أهل الكتاب، وإبطال مزاعمهم وبيان كذبهم بالدَّليل

جَاءَت الآياتُ الكريماتُ مناسِبةً لِمَا سَبَقَها؛ فهي تَسيرُ في الموضوعِ نفسِه، وهو: محاجةُ أهلِ الكتابِ من اليهود والنَّصارى، وإبطالُ مذهبِهم؛ حيث جاءتِ الآياتُ اسْتِئنافًا عمَّا سَبَقَها، لإبطالِ مَزاعم أهلِ الكتابِ من اليهودِ والنَّصارى، وبيانِ كَذِبهم وتوبيخِهم عليه، قال البِقاعيُّ: "لمّا أَمَرَ تعالى بقوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: 135]، وما بعدَه، بإعلامِ الخَصْمِ بالمُخالفة، وأنْ لا مُوافقةَ إلّا بتَرْكِ الهَوى، واتِّباعِ الهُدى؛ أَمَرَ هنا: بمُجادلتِهم بما يُوْهِي أقوالَهم، ويزيحُ شُبهَهم، فقال مُعرِضًا بالخطابِ عن الجَمْعِ، مُوجِّهًا له إلى رسوله، ﷺ، رَفْعًا لمَقامِه، وتَعريفًا بعَلِيّ مَنْصِبه، إعلامًا بأنَّه لا يَنهَضُ بذلك غيرُه، لِمَا لهم من العلم مَعَ ما عندَهم من الجَدَلِ واللَّدَدِ: ﴿قُلْ﴾ مُنْكِرًا لمُحاجَّتِهم، ومُوبِّخًا لهم عليها: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾، ولما كان الأنسبُ في المُقارعةِ إعلامَ الخَصم بالمُخالفة؛ لأنَّه أقطعُ لطَمَعِه، وأَمْكَنُ لغَيظِه، مع أنَّه هنا أقربُ إلى رِضى الخالقِ، قُدِّمَ على المُجادَلةِ"[1].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 2/194-195.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: من (حَجَجَ)، حَجَّ علينا: قَدِمَ، وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: قَصَدَه، والحَجُّ: كثرةُ القَصْدِ إلى مَن يُعَظَّمُ، و"الحُجَّةُ: الوَجْهُ الّذي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الخُصُومَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ، أَي: جَدِلٌ، والتَّحَاجُّ: التَّخاصُمُ، وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نَازَعَهُ الحُجَّةَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه"[1].

أمَّا المُحاجَّةُ فهي: أنْ يَطلُبَ كلُّ واحدٍ من المُحاجَّين رَدَّ صاحبه عَن حُجَّتِه، أوْ مَحَجَّتِه[2]، ومعنى: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: أتجادِلُوننا وتخاصِمُوننا؟

2) ﴿أَظْلَمُ﴾: مِنْ (ظَلَمَ)، والظُّلْمُ: وَضْعُ الشَّيْءِ في غير مَوْضِعِه تَعَدِّيًا[3]، ومِنَ المجاز: "ظَلَمَ الأرضَ: حَفَرَها في غيرِ مَوْضِعِ حَفْرِها، والبَعيرَ: نَحَرَهُ من غيرِ داءٍ، والوَادِيَ: بَلَغَ المَاءُ مَوْضِعًا لم يَكُنْ بَلَغَهُ قَبْلَهُ، والوَطْبَ: سَقَى منه اللَّبَنَ قَبْلَ أن يَرُوبَ"[4].

والظُّلمُ: وضعُ الشَّيْءِ في غيرِ مَوْضِعِه؛ وَالتَّصَرُّفُ في حَقِّ الآخَرِ؛ ومُجاوزَةُ حَدِّ الشَّارِعِ، والمصدَرُ الحَقِيقِيُّ لـ (ظَلَمَ) هُوَ: الظَّلْم (بِالفَتْح)، وَيُفهَمُ مِنْهُ أَنَّ الظُّلْمَ -بِالضَّمِّ- في الأَصْل: اسْمٌ مِنْهُ وَإِنْ شاعَ اسْتِعْمَالُه في مَوضِع المصدرِ[5].

والمعنى الّذي وردَ به لَفظُ ﴿أَظْلَمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ هو: مَنْ وَضَعَ الشَّيْءَ في غير مَوْضِعِه، وجاوزَ حَدَّ الشَّارِعِ.

3) ﴿كَتَمَ﴾: الكَافُ وَالتَّاءُ وَالمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى إِخْفاءٍ وَسَتْرٍ، مِنْ ذَلِكَ: كَتَمْتُ الحَدِيثَ، كَتْمًا وَكِتْمَانًا، كَتَمْتُه السِّرَّ كَتْمًا وكُتْمَانًا، وكَتَّمَه: بالغَ في كَتْمِه، وسِرٌّ وحَدِيثٌ مُكَتَّمٌ، واسْتَكْتَمْتُه أمري، وهو كَتَّامٌ وكَتَّامَةٌ للأسْرَار، وكَاتَمْتُه العَدَاوَةَ: سَاتَرْتُه، وفُلَانٌ لا يَكْتَتِمُ أيْ: لا يَكْتِم أمْرَه وسِرَّه[6]، والكِتْمانُ: نَقيضُ الإعلانِ.

ودَلالةُ ﴿كَتَمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ تُشيرَ إلى

(1) ابن مَنْظور، لسانُ العَرب: (حجج).
(2) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (حجج).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ظَلَمَ).
(4) الفَيْروزابادِيّ، القَاموس المُحيط: (الظُّلْمُ).
(5) الكَفَوِيُّ، الكُلِّيّات، ص: 595.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كَتَمَ).

إخْفاءٍ وَسَتْرٍ، "وكلُّ ما في القُرْآنِ مِن التَّركيب، فَهُوَ بِمَعْنَى: حَبْس الكَلَامِ عَمَّا في القَلْب، مِن شَهَادَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ فِكْرٍ أو تَدْبيرٍ أَوْ عَقِيدَةٍ"[1].

4) ﴿شَهَٰدَةً﴾: من (شَهِدَ)، والشَّهَادَة: خبَرٌ قَاطِعٌ، تَقُولُ مِنْه: شَهِد الرَّجُل على كذا، وقولُهم: اشْهَدْ بِكَذَا، أي احْلِف، والمُشَاهَدَةُ: المُعاينةُ، وشَهِدَهُ شُهودًا، أي: حَضَرَه، فهو شاهِدٌ، وقومٌ شُهودٌ، أي: حُضورٌ[2].

وشَهِدَ له بكذا شَهادةً، أي: أدَّى مَا عِنْدَه مِن الشَّهَادَةِ، فَهُوَ شَاهِدٌ، وَالجَمْعُ شَهْدٌ، مِثْلُ: صاحِب وصَحْب، وَجَمْعُ الشَّهْدِ: شُهودٌ وأَشْهادٌ، والشَّهِيدُ: الشَّاهِدُ: الحَاضِر، وَالجَمْعُ الشُّهَداء[3]، وشَهِدَ الشَّاهِدُ عِنْدَ الحَاكِم، أَيْ: بَيَّنَ مَا يَعْلَمُهُ وأَظْهَرَه[4].

والشَّهَادَةُ: قولٌ صادرٌ عن علمٍ، حَصَلَ بمُشاهَدَةِ بَصيرةٍ أو بَصَرٍ، وقولُه تعالى: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ [الزخرف: 19]، تَنْبيهًا أنّ الشّهادةَ تكونُ عن شُهُودٍ[5].

ومعنى الشَّهَادَةِ في قوله تعالى: ﴿كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ كتمانُهم شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين، فكتموا ذلك، ونحلُوهم اليهوديةَ والنصرانية.

5) ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: "الغَيْنُ وَالفَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوًا، وَرُبَّمَا كَانَ عَنْ عَمْدٍ"[6].

والتَّغافُلُ: التَّعَمُّدُ، والتَّغَفُّلُ: خَتْلٌ عَن غَفْلَةٍ[7]، و"الغَفْلَةُ: سَهْوٌ يَعْتَري الإنسانَ مِنْ قِلَّةِ التَّحفُّظِ والتَّيقّظِ، يُقالُ: غَفَلَ فهو غَافِلٌ"[8].

والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، جاء لينفيَ كلَّ معاني الغَفْلَةِ،

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كتم).
(2) الجَوْهَرِيُّ، الصّحاح: (الشَّهادة).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: (شهد).
(5) الراغب، المفردات: (شهد).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غَفَلَ).
(7) الأَزْهريُّ، تهذيبُ اللُّغة: (غَفَلَ).
(8) الراغب، المفردات: (غَفَلَ).

من السَّهْوِ وقِلَّةِ التَّحفّظِ والتَّيقّظِ عنه تعالى شأنُه، وليُثْبِتَ في الوَقْتِ نَفْسِه أنَّه سُبْحَانَه عَالِمٌ ... خَبيرٌ بما يَعْمَلُ الظَّالمونَ[1].

6) ﴿أُمَّةٌ﴾: من (أَمَمَ)، وأُمُّ الشَّيءِ: أصلُهُ، ومَكَّةُ: أُمُّ القُرى، والأُمَّةُ: الجماعةُ، هو في اللَّفظِ واحدٌ، وفي المعنى جمعٌ، وكلُّ جنس من الحيوان أُمَّةٌ[2].

قال الرَّاغبُ الأصْفهانيُّ "والأُمّةُ: كلُّ جماعةٍ يَجمعُهم أَمرٌ ما، إمّا دِينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكانٌ واحدٌ، سواءٌ كان ذلكَ الأمرُ الجامعُ تسخيرًا أو اختيارًا، وجمعُها: أُمَمٌ"[3]، وبهذه الدَّلالَةِ وَرَدَ لفظُ ﴿أُمَّةٌ﴾ في قَوْله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾.

7) ﴿خَلَتْ﴾: من (خَلا)، يُقالُ: خَلَا يَخْلُو خَلاءً، فهو خالٍ، والخَلاءُ من الأرض: قرارٌ خالٍ، لا شيءَ فيه، وخَلَّى مكانَه، أي: ماتَ، وخَلَّيْتُ عنه، أي: أرسَلْتُه، وخَلَا قَرْنٌ، أي: مضى، فهو خالٍ، والخَلِيَّةُ: النّاقَةُ خَلَتْ مِنْ وَلَدِها، ورَعَتْ وَلَدَ غيرِها، ويقالُ: هي الّتي ليس معها وَلَدٌ، والخِلاءُ في الإبل كالحِرَانِ في الدّابَّةِ، خَلَأَتِ النّاقَةُ خِلَاءً، أي: لم تَبْرَحْ مكانَها، تَعَسُّرًا منها[4].

وخَلَوْتُ إليه: إذا اجتمعْتَ معه في خَلْوَةٍ، وَأنا منكَ خَلَاءٌ، أي: بَراءٌ[5].

ويأتي (خَلَا) بمعنى: مضى، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، والقُرُونُ الخَالِيَةُ: هم المَوَاضِي، وخَلا شَبابُكَ: مضى، وهو من القرونِ الخالِيَةِ، وتقولُ: كان ذلك في القرون الأَوَالي، والأمَمِ الخَوَالي[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مُحاجَجة أهل الكتاب بالدَّليل العقليّ والنَّقلي

تأتي هذه الآياتُ الكريماتُ في سِياق مُحاججةِ أهلِ الكتابِ، ويَعتمِدُ أسلوبُ الخطابِ فيها على الحِجَاج بالدَّليل العقليِّ والنَّقليِّ والبرهانِ القاطعِ، فهي تُجادِلُهم وتُسَفِّهُ أحلامَهم، وتُكذِّبُهم من خلال حِجاجِهم، وبيانِ بطلانِ عقائدِهم وفسادِها.

(1) الكَفَويُّ، الكُلّيّات، ص: 546.
(2) الجَوْهَرِيُّ، الصّحاح: (أمم).
(3) الراغب، المفردات: (أمم).
(4) الخليل، العَين: (خلو).
(5) الجَوهَريُّ، الصّحاح: (خلا).
(6) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (خلا).

فَقَدِ افْتُتِحَتْ بأمرٍ من الله تعالى لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ أنْ يقولَ لأهلِ الكتابِ من اليهود والنَّصارى، الّذين يُجادِلون سَفَهًا بغيرِ حقٍّ، مُنكِرًا عليهم: أتُجادِلُونَنا يا أهلَ الكتابِ في أنَّكم أولى باللّه ودِينِه مِنّا؛ لأنَّ دينَكم أقدمُ، وكتابَكم أَسْبَقُ، ومَنْ أين لكم هذه الدّعاوى الباطلةُ، بادّعاءِ الهدايةِ والقُربِ من اللّه دُونَنا؟ واللّه رَبُّنا جميعًا، لا ربُّكم فقط، ولكلٍّ منَّا أعمالُه الّتي سيُجازَى عليها، لنا أعمالُنا الّتي لا تُسألون عنها، ولكم أعمالُكم الّتي لا نُسألُ عنها، وكلٌّ سيُجْزى بعَمَلِه، فأنتم لستُم بأفضلَ منَّا، بلْ نحنُ أَوْلى باللّه منكم؛ لأنَّنا مُخلِصونَ له في العبادة والطّاعةِ، ولا نُشرِكُ به شيئًا، وأنتم تُشرِكونَ.

بيان كذب أهل الكتاب وافترائهم على الأنبياء، وتوبيخهم عليه

ثم تأتي الآيةُ الّتي بعدَها؛ لتُبيِّنَ كَذِبَ أقوالِ أهلِ الكتاب بافترائِهم على الأنبياء، وَوَبَّخَتْهم عليه: أمْ تقولونَ يا أهل الكتاب: إنَّ إبراهيمَ والأنبياءَ المَذكورينَ، كانوا على دِينِ اليهوديَّةِ، أو النَّصرانيَّة، مع أنَّ هاتَين الدِّيانتَين قد شُرِعَتا بعدَ المَذكورين من الأنبياء، ثمَّ أَمَرَ اللّهُ تعالى نبيَّه أَنْ يسألَهم: أَهُمْ أعلمُ بما كان عليه هؤلاءِ الأنبياءُ، أم اللّه؟ وعُلِمَ بذلك: أنَّ ما يَقولُونَه كَذِبٌ على اللّه تعالى ورُسُلِه، وأَنَّهم كَتَمُوا الحقَّ الّذي نَزَلَ عليهم، ولا أحدَ أشدُّ ظُلمًا مِنَ الّذي كَتَمَ شهادةً ثابتةً عندَه عَلِمَها من اللّه تعالى، كَفِعلِ أهلِ الكتابِ، وليس اللّه بغافلٍ عن أعمالِكم، وسيُجازيكم عليها.

بيان أنّه لا أحدٌ يُؤخذ بذنب أحدٍ، ولا ينتفع بعمل غيره

وأخيرًا يُسْدَلُ السِّتارُ عن هذا المُحاجَجَةِ ببيانِ أنَّ هؤلاء الأنبياءَ الّذين يُجادَلون أمَّةٌ قد مَضَتْ مِنْ قبلكم، وأَفْضَتْ إلى ما قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ، ولنْ ينفعَكم الانتسابُ إليهم، ولن يعودَ إليكم من صلاحِهم وعملِهم الصّالحِ شيءٌ، فلها ما كَسَبَتْ من الأعمالِ، ولكم ما كَسَبْتم، ولا تُسألون عن أعمالهم، ولا يُسألون عن أعمالكم، فلا يُؤخَذُ أحدٌ بذَنْبِ أحدٍ، ولا يَنتفِعُ بعَمَلِ غيرِه، بلْ كلٌّ سيُجازى على ما قَدَّمَ[1].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 3/123-128، والرَّازيُّ، مفاتيح الغيب: 2/76-78، وابنُ كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/452-453، والمختصر في التَّفسير، ص: 21.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

غرضُ الاستفهام في قوله: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾:

الإنكار على أهل الكتاب محاجَّتهم فيما يعلمون

لـمَّا كانت هذه الآياتُ في حِجاج أهلِ الكتابِ وإبطالِ مَذْهبِهم، ناسَبَها أن تُفتَتَحَ بالاستفهامِ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [البقرة: 139]، والاستفهامُ إنكاريٌّ مَشُوبٌ بتَعجُّبٍ، إنكار المُحاجَجَةِ الصَّادرةِ من أهل الكتابِ للمسلمين في الله تعالى، واصطفائِه نبيَّ آخرِ الزَّمانِ محمَّدٍ ﷺ من العرب[1]، والتَّعجيبُ من تلك المُحاججةِ مع عِلْمِهم بأنَّه الحَقُّ.

سِرُّ إيثارِ استعمالِ صيغةِ الفعل المضارع: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾:

واجبُ المسلِم الاستعدادُ الحجاجيُّ والفكريُّ في كلِّ عصرٍ

جاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾؛ للدّلالةِ على استمرارِ مُحاجَجَةِ أهلِ الكتاب للمسلمينَ في نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ ورسالتِه، وتَجدُّدِها كلَّ مَرَّةٍ مِنْ غيرِ انقطاعٍ منهم، مع بطلانها، ممَّا يزيدُ من تقبيح فعلِهم وتَشنيعِه.

فالفعلُ المضارعُ: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ يَقتضي المُحاجَجَةَ، المرَّةَ بعدَ المرَّةِ؛ لأنَّ الفعلَ المضارعَ يَدُلُّ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، فهو فِعْلٌ دائِمٌ، وهذا ما يدعو إلى الاستنكارِ والتَّعجُّبِ من فعلِهم المستمرِّ بالجِدالِ بالباطلِ؛ فالآيةُ إخبارٌ عمَّا سيصدرُ عن أهل الكتابِ، ومقتضى الإخبارِ معرفةُ ما سيقعُ منهم، والاستعداد لذلك على المستوى العلمي والثقافي والفكري والحجاجيّ، بما يلزم في كلِّ عصرٍ بحسب أدواته، فالآية تزرع في عقل المسلم الوعيَ والفهمَ والاستعدادَ، وأنَّ ما يصدُر عن الآخرِ لا يصحُّ التَّهاونُ في شأنِه.

نكتةُ الإيجازِ بالحذفِ في قولِه: ﴿فِي ٱللَّهِ﴾:

حُذِف المُضافُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾؛ وأُقيمَ

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/197.

تصويرُ شَنَاعَةِ وقُـبـحِ ما وقعوا فيه من المُحَاجَجَةِ

المُضافُ إليه – وهو الاسم الكريم: (اللّه) – مَقامَه، أيْ: أتحاجُّوننا في دِين اللّه، أو شريعةِ اللّه، أو شأن اللّه، ونكتةُ الحذفِ بيانُ شِدَّةِ جَهْلِ أهلِ الكتاب، فهم يُحاجُّون في ذات اللّه تعالى، لجَهلِهم وسَخافَةِ عقولِهم، وهو مكمنُ الإنكارِ عليهم، بقَصدِ المُبالغةِ[1]، وفائدتُه تظهرُ في تصوير شناعةِ وقُبحِ المحاجة التي وقعوا فيها!

ترشيحُ الإنكارِ بالأسلوبِ الخبريِّ: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾:

إتباعُ الإنكارِ خبرًا حجاجيًّا يُثبِّتُ المعنى المُراد

لمَّا كان جدالُ أهلِ الكتابِ للمسلمينَ ومُحاججتُهم مَحَطَّ إنكارٍ وتَعجيبٍ، جاء بعدَه الأسلوبُ الخَبريُّ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؛ لتأكيدِ معنى الإنكارِ وتصويرِ بشاعةِ المستنكرِ عليهم من أمرَين:

الأوّل: أنَّ اللّه تعالى أعلمُ بتَدبيرِ خَلْقِه، وبمَنْ يَصلُحُ للرِّسالة وبمَنْ لا يَصلُحُ لها، فلا تَعترضوا على حكمِ اللّه وأمرِه؛ فليسَ للعبد أَنْ يعترضَ ويحاجج فيما ليس له به علم، بلْ يجبُ عليه تفويضُ الأمرِ بالكُلِّيَّة إليه تعالى.

الآخر: أَنَّهُ لا نِسبةَ لكم إلى اللّه تعالى إلَّا بالعُبوديَّة، وهذه النِّسبةُ مُشتَرَكةٌ بينَنا وبينَكم، فَلِمَ تُرَجِّحونَ أنفسَكم علينا، بلِ التَّرجيحُ مِنْ جانبنا؛ لأَنَّا مُخلصون له في العُبوديَّة[2].

التَّرقّي في المُحاججة في قولِه: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾:

التـأسيسُ بالانتسابِ، يجب معه الإثباتُ بالأعمال

مِنَ البلاغةِ في الآيةِ الكريمةِ: التَّرقّي من الأدنى إلى الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؛ فقد جاءت جُملةُ ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ حاليَّةً، أي: كيف تُحاجُّوننا في هاتِهِ الحالةِ المَعروفةِ الّتي لا تَقبَلُ الشَّكَّ، وبهذه الجُملةِ حَصَلَ بيانُ

(1) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 1/145.
(2) الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 4/76.

لموضُوعِ المُحاجَّةِ، ثمَّ ارْتقى في الإنكار عليهم، فقال: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾، فهذه الجملةُ عطفٌ على الحالِ، ارتقاءً في إبطال مُجادلتِهم، بعد بيان أَنَّ المَربُوبيَّةَ تُؤهِّلُ لإنعامِه كما أَهَّلَتْهُم، ارْتقى فجَعَلَ مَرْجُوّ رِضَى اللَّه تعالى على عباده أَعمالهم، فإذا كان قد أَكرمَكم لأَجل الأَعمالِ الصَّالحة فلعلَّه أَكرمَنا لأَجلِ صالحاتِ أَعمالِنا أيضًا، فتعالَوا فانظروا أَعمالَكم، وانظروا أَعمالَنا، تجدوا حالَنا أَقربَ إلى الصَّلاحِ منكم، وهذا التّرقِّي أَضْفى على جدالهم قُبْحًا فوقَ قُبْحٍ[1].

قال البيضاويُّ: "كأَنَّه أَلْزمَهم على كلِّ مَذهبٍ يَنْتَحُونَه إفحامًا وتَبْكيتًا، فإنَّ كرامةَ النُّبُوءةِ إمَّا تَفَضُّلٌ من اللَّه على مَنْ يشاءُ، فالكُلُّ فيه سواءٌ، وإمَّا إفاضَةُ حَقٍّ على المُسْتَعِدِّينَ لها، بالمُواظبة على الطَّاعةِ، فكما أَنَّ لكم أَعمالًا، رُبَّما يعتبرُها اللَّهُ في إعطائِها، فلنا أَيضًا أعمالٌ"[2].

الأعمالُ ثمارُ الاعتقادِ ودليلُ القبول، وَكُلُّ مُكَلَّفٍ مَقْرُونٌ بِعَمَلِهِ

التَّقديم للقصر في قوله: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾:

مِنْ بلاغةِ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: تقديمُ شِبْهِ الجُملةِ: ﴿وَلَنَآ﴾على المبتدأ: ﴿أَعْمَٰلُنَا﴾، وتقديمُ شِبْهِ الجُملةِ: ﴿وَلَكُمْ﴾ على المبتدأ: ﴿أَعْمَٰلُكُمْ﴾، وأفادَ هذا التَّقديمُ القصرَ، قصرَ أعمالِ كلِّ فريقٍ من الفريقَين عليه وتخصيصَها به، وفيه دَلالةٌ على "أَنَّ العملَ هو أساسُ الأمرِ، وبه العِبرةُ، وكما أَنَّ لكم أعمالًا، يَعتبرُها اللَّهُ في إعطاءِ الكرامةِ ومنعِها، فنحنُ كذلكَ"[3]، وفيه وجوبُ البَراءَةِ من أعمالِ الكفَّارِ وشِرْكِهم، إذ فصلتِ الآيةُ بين أعمالِ كلِّ فريقٍ، وأعطته حكمًا خاصًّا به.

دلالةُ عطفِ قوله: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾:

جاءَ قولُه تعالى: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ معطوفًا على قولِه: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾، احتراسًا يَدفَعُ توهُّمَ أنْ يكونَ المسلمونَ مُشاركينَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/746.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/109.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/197.

للمُخَاطَبين من أهل الكتابِ في أعمالهم، وهو نَظيرُ عَطْفِ قولِه تعالى: ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: 6][1].

دفع توهّم الاشتراكِ بين المسلمين وأهل الكتاب في الأعمال الصَّالحات

فدلَّ الاحتراسُ على أنَّ لكلِّ فريقٍ من المسلمينَ وأهلِ الكتابِ أعمالَه الخاصَّةَ به، فللمُسلمينَ أعمالُهم الصّالحةُ، ومنها: التَّوحيدُ، الّتي لا تَنْفعُكم ما دُمتُم على كُفركم، ولأهلِ الكتابِ أعمالُهم القبيحةُ، ومنها: الشِّرْكُ باللّه، التي لا تَضُرُّ المسلمينَ، بل وَبالُها على أصحابِها من المُشركينَ[2].

ومن فوائدِ العطفِ بيانُ المفاصلةِ بين الفريقين، فأعمالُ المؤمنين لا تتقاطع مع أعمالِ أهل الكتابِ في أيِّ شكلٍ، ما دام الاعتقادُ مختلفًا.

بلاغةُ الفاصلةِ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾:

فائدةُ القصرِ بيانُ العبادةِ الحقَّةِ والتَّعريضُ بأهل الكتاب

جاءتِ الفاصلةُ القرآنيَّةُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ للرَّدِّ على أهلِ الكتابِ والتَّعريض بهم بأسلوبِ القَصْرِ، بطريقَين:

الأوّل: تقديمُ ما حقُّه التّأخيرُ، فقد قَدَّمَ شِبه الجُملةِ من الجَارِّ والمجرور: ﴿لَهُۥ﴾ على عامله: ﴿مُخْلِصُونَ﴾، والأصلُ: ونحنُ مُخلصونَ له مُوَحِّدونَ، نَخُصُّه بالإيمانِ والطَّاعةِ دونَكم، فأفادَ تَخصيصَ الإخلاصِ للّه تعالى وحدَه، وقصرَه عليه دونَ غيرِه، وفي التَّقديمِ أيضًا: مُراعاةٌ للفَواصل، والاهتمامُ بالمُقَدَّم[3].

الآخر: اسميَّةُ الجُملة، فقد أفادَت القَصْرَ أيضًا، لدَلالةِ الجُملةِ الاسميَّةِ على ثَباتِ الوَصْفِ ودوامِه لهم، والمُتَمثِّلُ بالإخلاصِ للّه تعالى في العباداتِ والمُعاملاتِ، وفي هذا: تَعريضٌ بأهلِ الكتابِ الّذين أشركوا باللّه تعالى، وَرَدٌّ عليهم بأنَّهم بعيدونَ عن العبادةِ الصَّحيحةِ، الّتي تَتَطلَّبُ منهم توحيدَ اللّه تعالى وحدَه، وإخلاصَ النِّيَّةِ لَهُ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/746.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/74.
(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/109.

جمالُ الاتِّساقِ في فواصِلِ الآياتِ:

الفاصِلةُ مظهرٌ من مظاهر إعجازِ القرآنِ، وقوّةِ اتِّساقِه

مِنْ مقاصدِ الخطابِ القرآنيِّ وجَماليّاته: أنْ تُخْتَمَ الآيةُ بفاصلةٍ تُناسِبُ معناها، لتَقريرِ هذا المعنى وتأكيدِه في أذهان السَّامعينَ، عن طريقِ التَّعبيرِ بالتَّذْييلِ، وهو نوعٌ مِن أنواعِ الإطنابِ البلاغيِّ، وهوَ ما كان في فواصِلِ عَدَدٍ مِن الآياتِ السّابقاتِ، الّتي تَشابَهَتْ في التَّركيبِ، مع اختلافِ بعضِ ألفاظِها.

فقد جاءتْ الفواصلُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، و﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾، و﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾، مناسِبَةً لسِياقها الّذي وَرَدَتْ فيه.

فقولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ مناسِبٌ لـ(آمنا)، أيْ: نؤمِنُ باللّه، وبما أُنزِلَ على الأنبياء، عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، ونَسْتَسْلِمُ له، ونَنْقادُ لأوامره ونواهيه، وقولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ مُلائمٌ لقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّها بمعنى: دِينِ اللّه، فالمَصدرُ كالفَذْلَكَةِ لما سَبَقَ، وقولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ مُوافِقٌ لِمَا قبلَها[1].

وإنَّ تَكرارَ هذا النَّمَطِ مِنَ الفواصِلِ، مُتشابِهَةِ التَّركيبِ، مُتنوِّعةِ الألفاظِ، في مُواجهةِ أهلِ الكتابِ وجدالِهم، القائمِ على الباطلِ وتزييفِ الحقائقِ: جاء "لإفحامِهم، وإغلاقِ البابِ في وجوهِهم مِنْ هذه النّاحيةِ؛ إذ تَبيّنَ أنّ أصولَ هذه المِلَّةِ أَمْنَعُ مِنْ أنْ تَقْبَلَ الجِدالَ في شيءٍ منها"[2]؛ لأنّ في هذه التّراكيبِ المُتشابهةِ، دَلالةً على اعتناءِ السُّورةِ بما تَتَضَمَّنُه هذه الفواصلُ المُؤكِّدةُ لمَضمونِ الآياتِ، ولسِياقِها العامِّ.

الإسلامُ والعبادةُ والإخلاصُ أصولُ القبولِ وعليها مدارُ الأمرِ

وفي هذه الفواصلِ تَكْثيفٌ لحقيقةٍ عُظمى، عالَجَها القرآنُ الكريمُ في أغلبِ سُوَرِه، وتأكيدٌ على ركيزةٍ مُهمَّةٍ في بناءِ المُجتمعِ

(1) الألوسّي، روح المعاني: 1/396.
(2) درّاز، النّبأ العظيم، ص: 229.

الإسلاميِّ، فهيَ - وإنِ اختَلَفَتْ ألفاظُها: ﴿مُسْلِمُونَ﴾، ﴿عَبِدُونَ﴾، ﴿مُخْلِصُونَ﴾، إلّا أنَّ مَضمونَها واحدٌ، وتُقرِّرُ حقيقةً واحدةً ثابتةً، وهي: وَحْدَةُ دِينِ اللّهِ تعالى، واطِّرادُه على أيدي رُسُلِهِ جميعًا، ونَفْيُ فِكرةِ احتكارِه في أيدي أمَّةٍ أو جِنْسٍ، وبيانُ أنَّ العقيدةَ تُراثُ القلبِ المؤمنِ، لا تراثُ العَصَبيَّةِ العَمياءِ، وأنَّ وِراثةَ هذا التُّراثِ لا تَقومُ على قَرابةِ الدَّمِ والجِنْسِ، ولكنْ على قَرابةِ الإيمانِ، فمَنْ آمنَ بهذه العقيدةِ، ورَعاها في أيِّ جيلٍ، ومِنْ أيِّ قَبيلٍ؛ فهوَ أحقُّ بها مِنْ أبناءِ الصُّلْبِ، وأقرباءِ العَصَبِ.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّة:

الإنكارُ على مدَّعي يهوديَّة إبراهيم بالخطاب المباشرِ وبالوساطةِ

قرأَ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسَائيُّ وحفصٌ عن عاصمٍ ورويس عن يعقوب وخلف العاشر بالتَّاءِ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾، بصيغةِ المُخاطَبِ، وقَرَأَ الباقونَ؛ بالياءِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بصيغةِ الغائبِ[1].

فعلى قراءةِ الخطابِ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ تكونُ متَّسِقَةً مع ما قبلها: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾، وما بعدَها: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، فأتى بالفعلِ على الخطابِ، عَطفًا باللَّفظِ على معنى الخطابِ في سِياقِ الآياتِ ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾، ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ﴾[2].

وعلى هذه القراءةِ: تكونُ ﴿أَمْ﴾ مُتَّصلَةً، مُعادِلةً للهمزةِ في قوله: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾، أي: أَتُحَاجُّونَنا في اللّه، أم تقولون: إنّ هؤلاءِ الأنبياءَ على دينِكم، فالاستفهامُ عن وقوعِ أحدِ هذَين الأمرَين: المُحاجَّةِ في اللّه تعالى، والادِّعاءِ على إبراهيمَ عليه السلام، ومَنْ ذُكِرَ معه، أنَّهم كانوا يهودًا أو نصارى؛ أيْ: أيُّ الأمرَين وقع منكم؟![3].

وعلى قراءةِ الغائبِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، يكونُ الكلامُ الْتفاتًا مِنَ الخطابِ إلى الغيبة، والضَّميرُ لناسٍ مَخصوصِين، وعلى هذه القراءةِ: تكونُ ﴿أَمْ﴾ مُنقطعةً، تُقَدَّرُ بـ (بل) و(الهمزة) الدَّالَّةِ على الإنكار والتَّوبيخِ، أيْ: بل أيقولون إنّ هؤلاءِ الأنبياءَ على دينِكم،

(1) ابن الجزري، النشر، 2، 223.
(2) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 89.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/197.

وكأنَّه أَنْكَرَ عليهم مُحاجَّتَهم في الله تعالى، ونِسْبةَ أنبيائه لليهوديَّة والنَّصرانيَّة، وقد وَقَعَ منهم ما أَنْكَرَ عليهم[1]، "فَوَبَّخَهم اللَّه تعالى على الكلام في مَعرِضِ الاستفهام، على سبيلِ الإنكارِ، والغَرَضُ منه: الزَّجْرُ والتَّوبيخُ، وأَنْ يُقَرِّرَ اللَّه في نفوسهم أَنَّهم يَعلمونَ أَنَّهم كانوا كاذِبينَ فيما يَقولون"[2].

والقراءتان مرادتان، فالآية تُنكرُ على أهلِ الكتابِ المحاجَّة وادِّعاءَ يهوديَّة إبراهيم عليه السلام ونصرانيَّته على القراءتين، إحداهما جاءتْ خطابًا للقومِ مباشرةً، والثَّانية جاءتْ غيبةً، تعليمًا للمؤمنين الردَّ عليهم، ونكتةُ القراءتين، أنَّ إحداهما جاءت خطابًا للسَّامعين مباشرةً، والأخرى لمن وصلته الآيةُ بالوساطةِ.

إيثارُ اسْتِعمالِ الفِعلِ المُضَارِعِ: ﴿تَقُولُونَ﴾:

محاولةُ الانتماءِ إلى أهل الحقِّ ادِّعـــاءً دون متابعةِ نهجٍ فاسدٌ ومسلكٌ باطل

آثر النَّظم القرآنيُّ استعمالَ الفعلِ المضارعِ ﴿تَقُولُونَ﴾، دون (قالوا) في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾؛ للدّلالةِ على اسْتمرارِ تَقَوُّلِهم على الأنبياءِ وافترائهم عليهم، وتَجَدُّدِه كلَّ مرَّةٍ مِنْ غيرِ انقطاعٍ منهم، ممَّا يَزيدُ مِنْ تَقبيحِ فعلِهم وتَشنيعِه؛ لأنَّ الفعلَ المضارعَ يَدُلُّ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، فهو فعلٌ دائمٌ، وهذا ما يدعو إلى الاسْتنكارِ والتَّعجُّبِ من فعلِهم المُستمرِّ بالجدالِ بالباطلِ، وهو يدلُّ على عنادِهم في كفرِهم، وعتوّهم في كذبِهم، وهو يكشفُ عن موقفِهم الثَّابتِ وزعمهم الآثم في ادّعاء يهوديّة إبراهيم ونصرانيّته، وهم بذلك يكشفون خسارتَهم، وأنَّهم ينتسبون لإبراهيم عليه السلام لتقويةِ موقفِهم، ولردفِ مسيرتهم، وهذا شأنُ كلِّ مبطلٍ، أن يتمسَّك بأهل الحقِّ السَّابقين، نعوذ بالله من الخذلان المبين، وفي التَّعبير بالفعل المضارع إشعارٌ باستمرار منهجهم الباطلِ، وأنَّ كلَّ من يدّعي الانتسابَ إلى إبراهيم دون الالتزامِ بمنهجِ محمَّدٍ ﷺ فقد تابع اليهود والنَّصارى في ضلالِهم، وافترى على إبراهيم عليه السلام الإثم المبين.

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/660.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/77.

ترتيبُ ذكر الأنبياء على طريقة التَّدلّي:

مـراعـاةُ ترتيبِ الـــزَّمـــانِ هي الأصلُ ما لم ترِد نكتةٌ خلافَ ذلك

راعى النَّظمُ التّرتيب الزَّمانيّ في قولِه تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ على طريقة التَّدَلِّي؛ بذِكْرِ الأقدمِ ثُمَّ الّذي يَليهِ، فقد ذَكَرَ أوّلًا: ما أُنزِلَ على سيِّدنا إبراهيم، لفَضْلِهِ وأُبُوَّتِه، ثمَّ ذَكَرَ ابْنَهُ إسماعيل، الابنَ البِكْرَ الأكبرَ على أخيه إسحاق، وقَدَّمَ إسحاقَ على ابنِه يعقوب، وقَدَّمَ يعقوبَ على ولَدِه ﴿وَٱلْأَسْبَاطَ﴾ - وقد مَرَّ بيانُه -، وهذا التَّرتيبُ مَقصودٌ في هذا السِّياقِ، إذ جاءَ بترتيبِ الأنبياءِ حَسَبَ التَّرتيبِ الزَّمنيِّ لهم، فَضلًا أنَّ فيه دَلالةً على دُخول الأنبياءِ بعدَ سيِّدِنا إبراهيمَ، إذ هم داخلونَ في شَريعتِه.

والأمرُ نفسُه في تقديم اليَهوديَّةِ على النَّصرانيَّةِ، في قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، فاليهوديَّة أقدم زمنًا من النّصرانية، وهذا هو الأصلُ في التَّرتيبِ، ما لم تكن ثمّة نكتةٌ تقتضي التَّرتيب الموضوعيَّ، فتُلاحظُ من السِّياقِ.

تقديمُ (إبراهيم) عـلى الأنـبـيـاء باعتبارِه الأصلَ المُفترى عليه

ونُكتَةُ تقديمِ نبيِّ اللّه إبراهيم عليه السلام على الأنبياء كلِّهم؛ الاهتمامُ به، فهو محورُ الجدالِ، لأنَّه عليه السلام كان قبل نزولِ التَّوراةِ والإنجيل، أي: قبل تحريف دين موسى - وهو الإسلام - إلى اليهوديَّة، ومثله دين عيسى إلى النَّصرانيَّة، فكانَ البَدْءُ به تَعجيبًا مِنْ أمرِ جدالِهم فيه، وإنكارًا عليهم، وتوبيخًا لهم، وبيانَ كَذِبهم وافترائِهم، وذلك على سَنَنِ العربِ في تقديم الأهمِّ، حَسَبَ المَوقفِ، وهذا ما يُقوّيه مَجيءُ ﴿إِنَّ﴾ مُجرّدةً قبل اسمه، عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، لإنكارِ مَقولتِهم المَحكيّةِ والتَّعجيبِ منها، ليَتَسلَّطَ الإنكارُ على تَماديهم في الضّلالِ وتأكيدِهم ما يذهبون إليه من دعاوى كاذبةٍ، فقد حكى القرآنُ في مواضع عِدَّة، زَيْفَ ادِّعائِهم، وبَيَّنَ كَذِبَهم، مِنْ ذلك قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران: 65-68].

براعةُ الاسْتِفهامِ التَّقريريِّ في قوله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾:

ردُّ الأمـورِ إلى نصابِها بإثارةِ الفكرِ والعقلِ منهجُ القرآنِ في تقريرِ الحقائقِ

لـمَّا كانت هذه الآياتُ الكريماتُ تُواجِهُ أهلَ الكتابِ في مذهبِهم الباطلِ فيما ذهبوا إليه، كان الاستفهامُ يَتكرَّرُ مَرَّةً بعد أخرى، لبيانِ زَيفِ اعتقادِهم؛ لتكونَ العقيدةُ بذلك سَدًّا منيعًا في وجوههم، فقال تعالى مُخبِرًا عن أمرٍ غَيبيٍّ سابقٍ لزَمَنِ الخطابِ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، وأَرْدَفَهُ مباشرةً باستفهامٍ ثانٍ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾.

وقد خرج الاستفهامُ الأوَّلُ ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾: إلى معنى التَّقريرِ والتَّوبيخِ، فقرَّر أنَّ اللهَ تعالى أعلمُ منهم ومِنْ غيرِهم، في الأمورِ كلِّها، حاضرِها وغائبِها، وأنَّ دَعواهم فاسدة[1].

وهذا ما يُقرِّرُه حذفُ جوابِ الاستفهامِ، أي: "اللهُ أعلمُ، وخبرُهُ أَصدقُ، وقد أَخبَرَ في التَّوراة والإنجيل، وفي القرآن على لسانِ محمَّد ﷺ أَنَّهم كانُوا مُسلِمين مُبَرَّئِين عن اليهوديَّة والنَّصرانيَّة"[2]، وهذا كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: 65].

وقد استُفِيدَ مِنْ هذا الاستفهامِ التَّقريريِّ: أَنَّ اللهَ تعالى قد أَعلَمَهم بأَمرٍ، جهلَتْهُ عامَّتُهم، وكَتَمَتْهُ خاصَّتُهم، ولذلكَ قالَ بعدَها: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾[3].

ولأبي السُّعودِ رأيٌ في هذا الاستفهامِ صاغه بقولِه: "إعادةُ الأمرِ ليستْ لمُجرَّدِ تأكيدِ التَّوبيخِ وتشديدِ الإنكارِ عليهم؛ بل للإيذانِ بأنَّ ما بعدَه ليس مُتَّصلًا بما قبلَه، بلْ بينَهما

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/217.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/77.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/747.

كلامٌ للمُخاطَبين، مُترتِّبٌ على ما سَبَقَ، مُسْتَتْبِعٌ لما لَحِقَ، قد ضُرِبَ عنه الذِّكرُ صَفحًا لظُهوره، وهو تصريحُهم بما وُبِّخوا عليه، من الافتراء على الأنبياءِ عليهم السلام، أيْ: كذِبُهم في ذلك، وبَكّتَهُم قائلًا: إنَّ اللّه يَعلمُ وأنتم لا تعلمون، وقد نَفَى عن إبراهيمَ عليه السلام كِلا الأمرَين، حيثُ قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾، واحتَجَّ عليهم بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾، وهؤلاءِ المعطوفونَ عليه - عليهم السلام - أتْباعُه في الدِّين وِفاقًا، فكيفَ تقولونَ ما تقولونَ، سبحانَ اللّه عمَّا تصفونَ"[1].

غرضُ الاستفهامِ في قولِه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً﴾:

كتمانُ الشَّهادةِ من أعظمِ أنواعِ الظُّلمِ، وأقبحه سلوكًا

جاء الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾، بعدَ الاستفهامِ الأوّلِ ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، ليُقرِّرَ معناه ويُؤكِّدَه، وغرضُه النَّفي، مُبالغةً في وصفِ إجرامِهم وكذبِهم، وزيفِ ادِّعائهم، أي: لا أحدٌ أشدُّ ظُلمًا في كِتمان الشّهادة، ممَّنْ كَتَمَ شهادة اللّه تعالى[2]، مِنْ أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مُسلِمين، أو كَتَمَ ما جاء في كُتُبِهم من العِلم بصِفاتِ رسولِ اللّه ﷺ، وإثباتِ نُبوَّته[3].

وممَّا زادَ مِنْ بيانِ شِدَّةِ جُرْمِهم بكِتمانِ الشَّهادةِ: أنَّها جاءتْ نكرةً؛ لتَعظيمها وتفخيمها، لأنَّها ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، فهي شهادتُه تعالى، وهذا زادَ مِنْ تَجريمِهم بكِتمان الشَّهادةِ، وتَفظيعِ حالِهم.

الكناية والتَّعريض في الاستفهام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً﴾:

أفادَتْ الجملةُ الاستفهاميَّةُ في قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ الكِنايةَ والتَّعريضَ، فهذا الاستفهامُ: جاء كنايةً عن عدَم اغترارِ المسلمينَ بقول أهل الكتابِ، من اليهود والنَّصارى: إنَّ إبراهيم وأبناءَه كانوا هودًا أو نصارى، وليس هذا

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/169-170.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/217، والرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/77، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 1/664.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 126-125، والواحديّ، الوجيز، ص: 134.

احْتجاجًا عليهم[1]، وفيه تعريضٌ باليهود والنَّصارى بكِتمانِهم شهادةَ اللَّه لنَبيِّه محمَّدٍ ﷺ بالنُّبوَّة والرِّسالة في كتبهم[2].

دلالةُ فَاصِلَةِ الآيةِ الكَريمَةِ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾:

الخبرُ المرادُ به التَّهديدُ، أشدُّ من التَّهديدِ المباشِرِ

مِنْ أوجهِ التَّناسُبِ في الآية الكريمة خَتْمُها بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾، فهذه الفاصلةُ جاءتْ مُؤكِّدةً لِما سَبَقَها من ادِّعاءاتٍ باطلةٍ، وتحريفٍ للحقائقِ وتزويرِها، وكِتْمانٍ للشَّهادةِ.

فجاءت هذه الفاصلةُ لتَرْبيةِ المَهَابَةِ عندَ المُخاطبِين، وهي خبرٌ مُستعمَلٌ في التَّهديد والوعيدِ الشَّديدِ لأهلِ الكتابِ من اليهود والنَّصارى، الّذين يَكتُمون ما أُنْزِلَ إليهم من العِلم، بمُجازاتِهم على ذلك، فاللّٰه تعالى ليس بِسَاهٍ عنهم، بل هو مُطَّلِعٌ على أعمالِهم، وقد أحصاها صغيرَها وكبيرَها، لا تَخفَى عليه منهم خافيةٌ، ولنْ يَضيعَ أمرُهم سُدًى[3].

فائدةُ تكرار آية: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾:

التَّكرار تحقيقٌ للمضمون، وتأكيدٌ للمعنى، بغرضِ إثباتِه لمن يُجادِل فيه

جاءَ قولُه تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: 134] [البقرة: 141]، مرَّتين في أوّل الخطاب وآخرِه؛ لاختلافِ السِّياقِ؛ لأنَّها وَرَدَتْ هنا إثْرَ أمرٍ مُغايرٍ لِمَا وردت في المَوضِعِ الأوَّلِ، فكان التَّكرارُ حَسَنًا؛ لاختلافِ الأقوالِ والسِّياقِ، فقد ذُكِرَتْ في الأوَّلِ عَقِبَ ما ثَبَتَ من تقريرِ يعقوبَ عليه السلام لبَنِيهِ، وإقرارِهم له في قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [البقرة: 133]، وفي المَوضِعِ الثّاني: ذُكِرَتْ بعدَ قوله تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة: 140]، ففي الأوَّلِ: نَفْيُ ما هو ثابتٌ مِنْ إقرارِ بني إسرائيلَ، وفي الثَّاني: إثباتُ

(1) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 1/197.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/748.
(3) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 1/217، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/452.

ما هو مُنْتَفٍ، مِنْ كون إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ هُودًا أو نصارى، وكلُّ واحدٍ من هذَينِ يُوجِبُ من البراءةِ، ويُستَحَقُّ به غِلَظُ الوعيدِ والتَّخويفُ بالعقابِ، والتَّنبيهُ على الكبيرة الّتي تحبِطُ الحسناتِ مثلَ ما يُوجبُه الآخَرُ، فلذلكَ أُعيدَ في الدَّعوى الثّانية الباطلةِ ما قَدّمَ في الدَّعوى الأولى الكاذبةِ[1].

قال ابنُ عَطيَّةَ: "وقوله تُعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ الآية، كَرَّرَها عَنْ قُرْبٍ؛ لأنَّها تَضَمَّنَتْ معنى التَّهديدِ والتَّخويفِ، أيْ إذا كان أولئكَ الأنبياءُ على إمامتِهم وفَضلهم يُجازَون بِكَسْبِهم فأنتم أَحْرى، فَوَجَبَ التَّأكيدُ؛ فلذلكَ كَرَّرها، ولتَرْدادِ ذِكْرِهم أيضًا في معنىً غيرِ الأوّلِ"[2].

التَّكرارُ تحذيرٌ وزجرٌ لمن غلُظَ فهمُه

ويكونُ التَّكرارُ للمُبالغةِ في التَّحذيرِ والزَّجْرِ عمَّا هُم عليه، من الافتخارِ بالآباءِ، والاتِّكالِ على أعمالِهم، فكان في تَكرارها وَعْظٌ لليهود والنَّصارى، ولكلِّ مَنْ يَتَّكِلُ على فَضْلِ الآباء وشَرَفِهم؛ أنْ لا يَتَّكلوا على ذلكَ، فكلٌّ يُؤخذَ بعَملِه، ولا ينفعُه غيرُه[3].

وللتّأكيدِ و"زِيادةِ رُسوخِ مَدْلولِه في نفوسِ السَّامعين، اهتمامًا بما تَضَمَّنَه؛ لكَونِه معنًى لم يَسبِقْ سماعُه للمُخاطَبين، فلم يُقتنَع فيه بمرَّةٍ واحدةٍ"[4].

مناسبةُ الآيةِ الخاتِمةِ في المحاجَّةِ للسِّياقِ:

قوّةُ الاتِّساقِ الموضوعيِّ مظهرٌ من مظاهرِ الإعجازِ

خُتِمَتْ آياتُ المُحاجَجَةِ بقولِه تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ لبيانِ "أنَّ تلك أمَّةٌ قد خَلَتْ مُنفرِدةً بعَمَلِها، كما أنتم كذلكَ، وأنَّكم غيرُ مَسؤولِين عمَّا عَمِلُوه، وجاءتْ هذه الجُمَلُ من ابتداءِ ذِكْرِ إبراهيمَ إلى انتهاءِ الكلامِ فيه، على اختلافِ مَعانيهِ، وتَعَدُّدِ مَبانيهِ، كأنَّها

(1) الإسكافيّ، دُرّة التَّنزيل، ص: 297-296، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/452.
(2) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 1/217.
(3) البيضاويّ، أسرار التَّنزيل: 1/110.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/748.

جملةٌ واحدةٌ، في حُسْنِ مَساقِها، ونَظْمِ اتِّساقِها، مُرْتقيةً في الفصاحةِ إلى ذِرْوةِ الإحسانِ، مُفصِحَةً أنَّ بلاغتَها خارجةٌ عن طبْعِ الإنسانِ، مُذَكِّرةً بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: 88]"[1].

غرضُ التَّقديمِ في قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾:

قُدِّمَتْ شِبهُ الجملةِ ﴿لَهَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾: على الاسم الموصولِ المبتدأِ وصِلَتِه ﴿مَا كَسَبَتْ﴾، وقُدِّمَ شِبْهُ الجُملةِ ﴿لَكُم﴾ على الاسم الموصولِ المبتدأِ وصِلَتِه ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾؛ لإفادةِ القَصْرِ، أي: قصرِ أعمالِ كلِّ فريقٍ من الفريقَين عليه، وتخصيصِها به، وفيه دَلالةٌ على أنَّ عَمَلَ الإنسانِ وكَسْبَه هو أساسُ الأمرِ، وبه العِبرةُ، وأنَّ الانتسابَ للسَّابقين الفاضلين لا يُقدِّمُ ولا يُؤخِّر في القبولِ، فالأمرُ مرهونٌ بعملِ كلِّ عاملٍ.

التمكّلف محاسَبٌ على أعمالِه، ولا يتأثّرُ بعملِ آبائه أو تقصيرِهم

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحِجاج والمجادلة:

وَرَدَ الحِجاجُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، وواضِحٌ مِنْ أَصْلِ اشتقاقِه، وهو (الحُجّة) أنَّ الغرضَ منه: ظُهورُ الحُجَّةِ.

الغرض في الحِجاج ظهور الحجّة، وفي المجادلة الرّجوع عن المذهب

كما وَرَدَ الجدال في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، و هو مُشْتَقٌّ من الجَدَالَةِ: الأرض، والجِدْلُ: -بالكسر والفتح: كُلُّ عَظْمٍ مُوَفّرٍ كما هو، لا يُكْسَرُ ولا يُخْلَطُ به غيرُه، والجَديلُ: حَبْلٌ مَفْتولٌ، فالمُجادَلَةُ: الْتِفافُ كُلٍّ على الآخَرِ بإصْرارٍ[2].

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/664-665.

(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (جدل).

والغرضُ من الجِدالِ أو المُجادَلَةِ: بَذْلُ الجُهْدِ العقليِّ في صَرْفِ الطَّرَفِ الآخَرِ عَنْ رأيِهِ أو مَذْهبِه، كما في قِصَّةِ المُجادِلة.

وإيثارُ التعبير بالمُحاجَّة في قوله: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ لأنَّه أَنْسَبُ للسِّياقِ؛ حيث إنَّه يُنكِرُ عليهم مُحاججتَه في ما ليس لهم به علمٌ، وادِّعائهم في اللَّهِ، أَيْ: في دِينه، أنَّ دينَه الحقَّ اليهوديَّةُ والنَّصرانيَّةُ، بل وَبَنَوا على هذا الادِّعاءِ، أنَّهم وحدَهم أصحاب الجنَّةَ.

الكِتمان والإخفاء:

الكِتمان أنسب في الدَّلالة على حبس ما لا يقوى على إخفائه

وَرَدَ كِتمانُ الشّهادةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

كما وَرَدَ الإخفاءُ في قوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: 154].

فالكِتمانُ يكونُ بالسُّكوتِ عَنْ ذِكْرِ المعنى، ويَدورُ معناه: حَولَ مَنْعِ تَسَرُّبِ ما يَمْتَلِئُ به باطنُ الشَّيءِ، بِسَدِّ مَنافِذِ خُروجِه[1]، و خَتْمُ اللَّفْظِ بصوتِ الميم يُعَبِّرُ عنه تمامًا؛ حيث انطباقُ الشَّفتَين بها، ومنه كِتمانُ الشَّهادةِ، وهو حَبْسُ النُّطْقِ بها، أو الإتيانُ بها على غيرِ وَجْهِها، وهو نوعٌ من الكِتْمانِ، والإخفاءُ أَعَمُّ منه، فيكون في المعاني وغيرِها[2].

وإيثارُ ذِكْرِ كِتمانِ الشّهادة في حَيِّزِ الاستفهامِ المَنْفيِّ؛ لأنّه الأنسبُ للسِّياقِ والأَلْيَقُ بالشَّهادة؛ حيثُ استعظامُ جُرْمِهم، في كِتْمانِ شهادةِ اللّه الخاصَّةِ بإسلامِ هؤلاءِ الأنبياءِ المَذكورين، أو ذِكْرِ النَّبيِّ الخاتَمِ ﷺ في كُتُبِهم.

فهذه الشّهادةُ تَكادُ تَنطِقُ بها ألسنتُهم؛ لو أنّهم كانوا صادقين، فمِثْلُها لا يَخفى عندَهم.

وأمّا الإخفاءُ: فلم يَقترِنْ بالشَّهادةِ إلّا تجَوُّزًا، وإنْ أُخفِيَتِ الشّهادةُ فإنَّ إخفاءَها ليُشيرَ إلى ضَعفها، و إمكانِ إغفالِ الخَصمِ، وهذا لا يُناسِبُ المَقامَ.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (كتم).

(2) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 447، و448، وباختصار.

الخُلُوّ والمُضيّ:

الـخُـلُـوُّ أوسـع مـعـنـىً مـن الـمُضيّ، وأقوى في الـدّلالـة على الذّهاب و البَراح الواسع الممتدّ

وَرَدَ الخُلُوُّ بمعنى المُضيِّ في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، كما وَرَدَ المُضيُّ في قولِه تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [الزخرف: 8].

إنَّ دَلالةَ (خلا) على خُلوِّ المكانِ أو الزّمانِ معنىً مَقصودٌ؛ إذْ إنَّ قولَه ﴿خَلَتْ﴾ يَدُلُّ على كونِها مَضَتَ، وبَقِيَ المكانُ خاليًا مِن بعدِهم، وأنتم تَشهدونَ على ذلك، وقد تكونُ الأُمَّةُ الّتي خَلَتْ أمَّةً صالحةً، كالأنبياءِ المَذكورين، وقد تكون أمّةً فاسدةً، كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 38].

وتدبُّرُ معنى الخُلُوّ يُضاعِفُ العِظَةَ والاعتبارَ عند المخاطَبِ؛ إذْ إنَّه يُفَكِّرُ في أَحوال مَن مَضى، كما يَرْجِعُ إلى نَفْسِه و أَحوالِه، وقد حلَّ مكانَهم بعدَ أنْ خَلا منهم المكانُ والزّمانُ، فهو الأنسَبُ للسِّياقِ؛ حيث إنَّه أَبْلَغُ في الرَّدِّ على زَعمهم أنَّ هؤلاءِ الأنبياءَ المَذكورين كانوا هودًا أو نصارى، فكأنّه يقولُ لهم: إنَّ هؤلاءِ أَفْضَوا إلى ما قَدَّموا، فَافْتَرَيتُم عليهم، ولم تَعتَبِروا.

في حين "أنَّ المُضيَّ خِلافُ الاستقبالِ؛ ولذا يُقال: ماضٍ ومُستقبَل"[1]، ويَدورُ معناه حولَ "نَفاذ شيءٍ ومروره بِغِلَظٍ أو قوّةٍ، في أثناء شيء أو منها، كما يَمضي السَّيفُ أي: يَنْفُذُ في جسمِ الضّريبةِ، وكما يَنْفُذُ الفَرَسُ عَدْوًا، يَجوزُ المكانَ بقُوَّةٍ، ومنه "مَضَى في الأرض مَضاءً: نَفَذَ وخلا وذَهَبَ"[2].

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 498.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (مضى).

الجُزْءُ الثَّانِي

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»